

اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى لمعامله أهل الكتاب فقد روي أنه كان يحضر ولائمهم ويعود مرضاهم ويستقبلوا فودهم ويحسن اليهم وروي أنه كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهنهم أمتعته حتى أنه توفي ودرعه مرهونه عند بعض يهود المدينة في دين عليه ولم يخلص درعه إلا خلفائه بعد وفاته كان يفعل ذلك لا عجزاً من أصحابه عن اقتراضه فكان منهم المسلمون وهم المستعدون لأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم في مرضات نبيهم ولكنه كان يفعل ذلك تعليماً وارشاداً لأمته وقد سار المسلمون على سيره نبيهم فعاشروا غيرهم من أهل الملل والنحل الأخرى بصفاء ووثاق فكان المسيحي واليهودي يجاوران المسلم فيتزاورون لا يفصلهم إلا المساجد والكنائس والبيعه روي أن غلامه لابن عباس الصحابي الشهير ذبح شاة فقال له ابن عباس لا تنسى جارنا اليهودي ثم كررها حتى قال له الغلام كم تقول هذا فقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه ابن عباس بنص هذا الخبر كان مجاوراً لليهودي وكان يهتم بالاهداء إليه كما يهتم بسواه مراعاة لحزمه الجوار ومعنى أن الإسلام لا يفرق في مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وغيره ومما يدلنا على مبلغ ادراك الخلفاء المسلمين بمعنى الحرية الدينية ما نراه من عمر الفاروقي حين حضرته الصلاة في كنيسة القيامة في بيت المقدس فلم يصلي فيها حتى لا يتخذها الناس مسجداً من بعده فيظلموا أهلها وقد دل تاريخ المسلمين على أن تشريعهم يسمح لغير المسلم أن يقاضي أرفع إنسان في المسلمين وينتصف منه فقد روي أن يهودياً اشتكى علياً للخليفة عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنه كما لا يخفى ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته واحد المرشحين للخلافة فلما مثل بين يدي عمر نظر إلى علي وقال له قم يا أبا الحسن واجلس أمام خصمك أو قال له ساوي خصمك يا أبا الحسن فساوى علي خصمه وجلس أمامه وقد بدا التأثير على وجهه فلما انتهت الخصومة قال عمر أكرهت يا علي أن تجلس أمام خصمك فاجابه علي كلا ولكني كرهت أنك لم تسوي بيننا حين قلت يا أبا الحسن (يريد أن الكلية تشياً إلى التعظيم).